قصص لي تشون

بقلم: تشن فان تشن

ترجمة: رمزي يسى

فى شهر نوفمبر من عام ١٩٥٢ نشرت صحيفة هونان اليومية ملحقها الأدبى قصة « ليس ذلك الطريق » للكاتب الشاب « لى تشون » . وقد اعيد نشر هذه القصة خلال شهور قلائل فى عدة دوريات معروضة أحسن عرض . وفى السنوات التالية للتحرير الوطنى مباشرة بعد قانون الاصلاح الزراعى فى الريف فتحسنت أحوال الفلاحين ، وفى نفس الوقت ظهر ميل قوى الى الرأسمالية لدى بعض العناصر ، فكيف كان يمكن اغراء الفلاحين بالسير فى طريق الاشتراكية للوصول الى التقدم الجماعى ؟ لقد نجحت قصة « لى تشون » التى عالجت هذه المشكلة الحرجة فى الحياة الواقعية وحظيت بكثير من الاهتمام ، وفى السنوات العشر التى انقضت منذ ذلك الحين استطاع هذا المؤلف نشر نحو خمسين قصة قصيرة ، وأصبح الآن أقوى الكتاب أثرا فى الصين الحديثة .

ولد « لى تشون » سنة ١٩٢٧ بقرية من أعمال لويانج باقليم هونان ، وبعد أن قضى عاما باحدى المدارس المتوسطة اشتغل صبيا فى متجر لبيع الملح ثم فى متجر والده واستطاع تثقيف نفسه فى أوقات الفراغ . فقرأ كثيرا من كتب الأدب الصينى والآداب الكلاسيكية الأجنبية ، وأخيرا أتم مدرسا للغة الصينية باحدى المدارس المحلية بعد تحرير لويانج سنة ١٩٤٨ ، ثم بدأ يكتب فى أوقات فراغه ، وكان لقصصه آثار طفولته بالريف ومعرفته الدقيقة بحياة الفلاحين وعاداتهم وأفكارهم ومشاعرهم أعمق الأثر فى أعماله ككاتب قصاص .

وسرعان ما انتقل « لى تشون » مع عائلته بعد أن نشر قصة « ليس ذلك الطريق » مباشرة لسكنى بقرية « سيامشيون » فى منطقة « هيتجيانج » حيث عاش مع الفلاحين ، ويلاحظ أن هذا العقد الأخير قد شهد سلسلة من التغيرات الكبرى فى الريف الصينى ، فاتسعت نظرة الفلاحين نتيجة للاصلاح الزراعى وقيام الحركة التعاونية واستقرار الحكم الشعبى ، وتحول تبعا لذلك نمط حياتهم وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض ، فاتجه « لى تشون » من الأحياء القديمة ومن هذه التغيرات العميقة فى حياة الفلاحين ، ومن نضالهم فى الريف معينا

عزيزا لقصصه فانتج آثارا رائعة تقدم لنا صورة صادقة للأحوال الجديدة في القرى في عهدها الاشتراكي . واهم ما نلاحظه في كتاباته ، قدرته على ادراك ادق مظاهر الحياة المعاصرة وابراز ما فيها من متناقضات حادة ، ومعالجته لاخطر المشكلات الاجتماعية مما يضفي على قصصه احساسا قويا بالعصر الذي تمثله ، هذا بالاضافة الى انه يكتب بحماسة وتقدير بالغين عن الفلاحين الجدد الذين يناصرون قضية الاشتراكية ويعتنقون الأخلاقيات الجديدة .

ومن اهم آثار « لي تشون » .

القصص الست الأولى من مجموعة « ليس ذلك الطريق » التي نشرت سنة ١٩٥٣ و سنة ١٩٥٤ ، تعالج في جملتها حياة الفلاحين بعد الاصلاح الزراعي ، اذ كان الفلاحون يحلمون منذ أجيال طويلة بملكية الأرض ، ولكن الآن وقد تحقق حلمهم عرف بعضهم من السير في نفس الطريق ولم يظهروا اهتماما بالأحوال الجديدة . فالفلاح المحور « سونج لاو ـ تنج » في هذه القصة يبدأ في نسيان الماضي بعد أن تحسنت احواله بعد الاصلاح الزراعي ويأمل في ان يصبح غنيا عندما يشتري قطعة ارض من فلاح آخر وقع في ضائقة مالية مؤقتة ، ولكن ابنه «تونج ـ شان» وهو عضو في الحزب الشيوعي يعارضه في هذه الرغبة ويحاول اقناعه بالحجة ويذكره بانه هو نفسه فقد ارضه قبل التحرير نتيجة لاستغلال صاحب الأرض ، ويقنع الأب اخيرا ويعدل عن رأيه ويعطف على الفلاح الذي كان سيضطر الى بيع أرضه التي يعيش عليها تحت وطأة الفقر واليأس ويرده ضميره عن طمعه في ان يصبح غنيا على حساب تعاسة الآخرين .

ونلاحظ هنا أن تونج ـ شان طراز جديد من الناس يريد لأفراد طبقته التقدم والنجاح بالتعاون في الطريق الاشتراكي . وكان الطريق الذي يجب ان يسلكه الناس هو مشكلة المشاكل في القرى ، فعمد « لي تشون » الى توضيح هذا الصراع حول المشكلة .

اما « المحور منج كوانج ـ تاي » فهي قصة منج المحور وابنه ، وهما حوذيان قديمان يعملان في جمعية تعاونية ، وقد غضب الأب غضبة جامحة حين علم ان ابنه تين ـ هسيانج ـ تاثير نصيحة امه ـ قد حمل الى البيت ما تبقى من علف الماشية ، فنصح ابنه علانية وعنفه اشد تعنيف ورفض ان يسمح صوته في الانتحاب ، وعندئذ أدرك الابن خطأه وانه لم يكن يجدر به أن يتصرف في الجمعية التعاونية كما كان يتصرف مع سيد الأرض في العهد السابق ، وندم هو وامه على ما اقترفاه . ويمنح المحور ليس الا صورة رديئة للفلاح الأمي المتكر لذاته ، الذي قد يعوق جهد لمزرعته الجماعية جهد لأسرته ، واهم ما يلاحظ في هذه القصة هو انها اثارت مشكلة اخرى اشد خطرا وهي حاجة الفلاحين الى التفكير الجماعي لكي تنجح المزارع الجماعية ، ولكن ذلك كان أمرا صعبا بالنسبة للفلاحين الذين اعتادوا قرونا عديدة على العمل

فرادى كل لمصالحه الخاص فى قطعه الأرض الصغيرة التى يملكها .

وتوضح قصة «عندما يذوب الجليد» الصراع بين وجهتى نظر هامتين عند الفلاحين ، فنجد فى هذه القصة القصيرة « تشنج ته ـ منج » رئيس مزرعة « العلم الأحمر » التعاونية يخلص كل الاخلاص للقضية الاشتراكية ، ويترعج أشد الانزعاج لأن صديقه القديم « وى هو ـ تو » الذى حارب معه بقوة وتصميم فى سبيل الاصلاح الزراعى ، يعمل لصالحه الخاص بعد أن صار رئيسا لجمعية « الضوء الأحمر » التعاونية . ويشتد النقاش بين الصديقين وعنف ، وأخيرا يدرك «وى» الخطر الذى يتهدده لانصياعه لأفكار الرجعيين وسوء استغلاله لجماعته ومحاولة كسب منافع شخصية .

ولعل الصراع الذى تعرضه هذه القصص يكشف لنا عن نمط جديد من الحياة التى يتجه اليها الفلاح الصينى فالرجال من أمثال « سونج تونج ـ شان » ، وسونج المحور ، وتشنج ته ـ منج ، يبذلون قصارى جهدهم لاجتذاب الفلاحين الى الأخذ بالمبادىء الاشتراكية والسير فى طريق التعاون . فهم يحسون العمل التعاونى أكثر من حبهم لحياتهم ، ويدركون أن التعاون هو الوسيلة الوحيدة للتغلب على الفقر فى القرى .. انهم رجال من طراز جديد لم نعهدهم قط فى الآداب الصينية ، وهم يختلفون اختلافا جوهريا عن الفلاحين القدامى المطحونين على أمرهم ، كما يختلفون عن ابطال الفلاحين الذين كانوا فى القديم يغامرون بحياتهم فى محاربة التوسع الاستعمارى ضد شانج كاى ـ شك وسادة الأرض الذين فتكوا بهم ، لأن أولئك الرجال يقومون بثورة جديدة لاقتلاع الأنانية وفكرة الملكية الخاصة . انه كفاح فى وقت السلم ، ولكنه مع ذلك كفاح أشد قوة وأكثر تعقيدا .. ان « لى ـ تشن » لم يتجاهل هذه المشكلة بل بذل جهده فى عرض هذه المتناقضات فى الحياة ، وهذا هو السر الأساسى فى نجاح اعماله الأدبية الأولى

أما كتاباته فى المرحلة التالية فخير ما يمثلها مجموعة قصصه المسماة « عندما يزهر البردى » ، وهى مكونة من اربعة عشر قصة قصيرة كتبها بين عام ١٩٥٥ والنصف الأول من عام ١٩٥٧ وكلها تقريبا تعالج الحياة فى القرى وان كانت موضوعاتها أكثر تنوعا بحيث تغطى مظاهر من الحياة أوسع مدى وتكشف عن تقدم هائل فى تصوير الخصائص والمميزات . وقلما نجد قصة منها تقع فى أكثر من ست او سبع آلاف كلمة ، تصور كل منها قطاعا او شريحة من الحياة ، او تحلل شخصية من الشخصيات ، فنجد فيها الشبان والفتيات والأطفال والمسنين يعملون جميعا فى بناء وطنهم ، وتدهش لوطنيتهم وتفانيهم فى خدمة الشعب ، ولتفاؤلهم ،

وحماستهم للارتياد وروح الكشف . وبالرغم من أن معظم هذه القصص بالغ القصر الا انها غنية عميقة يطل عليها اللون المحلي القوي ، وبترك ما تحتويه من فكاهة وخصب اثرا قويا على ذهن القارىء .

وتعد قصة « الروحة » من اروع قصص هذه المجموعة ، فبطلتها قد انخرط روحها في سلك المتطوعين الصينيين في الحرب الكورية ضد الأمريكيين ، وتوفرت هي على خدمة أمه (حماتها) . وعندما تلقت خبر مقتله في ميدان الحرب أخفت خبرها عن حماتها العجوز اذ كانت شديدة التعلق بولدها ، بل أخذت تصطنع خطابات تدعي أن ابنها أرسلها من ميدان القتال في كوريا . واخيرا عرفت الأم من البطلة باستشهاد ابنها ، وان الخطابات التي وصلتها انما كانت من تدبير روحته . وهنا تحاول الأم تخفيف حزن الروحة .. انها نزعة انسانية سامية التي دفعت كلا من المرأتين الى ذلك المسلك تجاه الأخرى وهي تكشف بوضوح عن العلاقات الجديدة بين الأفراد وعن الايمان بمستقبل افضل .

ولقد شهد عام ١٩٥٨ الفترة الاشتراكية الكبرى لبناء الصين الجديدة حين عمل الشعب دون كلل على تحقيق التحول الزراعي والقضاء على الفقر والجهل . فنشر « لي تشون » مجموعتين من القصص في النصف الثاني من سنة ١٩٥٧ و سنة ١٩٦٠ على التوالي لتكشف كل منها عن حماسة الأهلين لبناء القرى في ذلك الوقت . وطغت كتابات لي تشون على غاية النضج ـ وان كانت تبدو غاية في البساطة ـ ونجحت في حفز الناس واستثارة شعورهم نحو « التعمير والانتاج » والتنافس السليم بين الأفراد . وتعد قصة « الجوادين الهزيلين » من أجود القصص ، وهي تحكي قصة مرب للجياد اشترى جوادين هزيلين بثمن بخس وتعهدهما بالتطبيب والتعديه حتى اصبحا قادرين على العمل كفء القطيع .

اما « نسيم الربيع » فتعالج قصة جندي سرح من الجيش فكرس بقية حياته على بناء مسكن للعجزة والمسنين الذين ظلمهم ملاك الأرض قبل التحرير ولم يبق بتهكم جيرانه وسخرية زوجته وملأ هذا المسكن بالمرح وبعث الحماسة بين سكانه حتى يعد هؤلاء الذين لم يعرفوا طوال حياتهم غير الفقر ملجأ آمنا لهم في نهاية ايام حياتهم . ثم قصة « المفاتيح » التي تصالح حماة أسرة كثيرة العدد في ظل الحكم الشعبي . وكان معظم أفرادها العشرين يعملون ، ولكن رب الأسرة الذي كان يحيا حياة بليدة ويستولي على اجور أفراد الأسرة الآخرين وما يكسبه ابناؤه وحفيداته مما أثارهم وحفزهم الى القضاء على هذا الاقطاعي والنظام الأبوي البغيض ، لبدء حياة مستقلة جديدة .

وتدور جميع هذه القصص في ظاهرها حول حوادث قليلة الأهمية ، ولكنها في الحقيقة ذات دلالات عميقة ، فهي تحكي قصة النمو في مجتمع جديد ، والعلاقات الجديدة بين الأفراد والأعمال المستحدثة في العمل ،

والاتجاهات الجديدة في الحياة . ولما كانت هذه القصص تكشف عن الخلال القوى القديمة وتقدم القيم الاجتماعية الانسانية فانها تتضمن روحا ثورية تعكس طابع العهد الجديد وتوحى الى القراء بالسير قدما .

وتتضح هذه المميزات في « قصة لى شوانج ـ شوانج » وهي من نساء قرويات ، كن أبان الفترة الكبرى بطلات لكثير من القصص ، وقد قال عنهن « لى شنون » انهن النساء اللائى كن يتحملن من سنوات قلائل من التحدث الى الغرباء ، فاصبحن بطلات عاملات يعملن الحرب على الطبيعة ، واصبحن تجاربات يعملن دون توقف من اجل الثورة ومن اجل المجموع ـ وهذا عتق حقيقى للانسان من رقته السودية وتحرير لقوته وعقله ... ولقد قابلت النساء العاملات في الريف نساء كثيرات من هذا الطراز من النساء اللائى يعبرن بالمثل العليا والروح النبيلة .

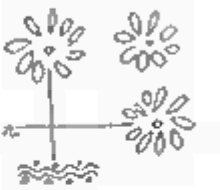

ولقد تأثر بعضهن تأثرا بالغا حرمه النوم في تلك الليلة ، فعكف على كتابة هذه القصص العريقة . وبطلة « قصة لى شوانج ـ شوانج » امرأة قروية شابة اوحت اليها الفترة الكبرى بالعمل الدائب خارج بيتها لصالح المجموع ، واوقفت جهدها على تحقيق مصالح الشعب بالرغم من اعتراضات زوجها « هى ـ وانج » الذى كان عاملا ماهرا طيب القلب ، ولكنه كان يحمل افكارا (انوية) من حب السيطرة تدفعه أحيانا الى الاستبداد بزوجه ، وهو في نفس الوقت لا يعمل على رفع طبقته من العمال ويعد مصادمات كثيرة بينه وبين زوجته اعترف بخطئه ، وأدرك سداد رأيها وكفايتها وهما الصفتان اللتان لم يتفطن اليهما من قبل .

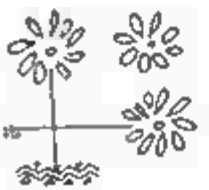

وليست لى شوانج ـ شوانج الا امرأة قروية عادية تقوم بالأعمال اليومية العادية التى تقوم بها سائر القرويات ، ولكن روحها المتوثبة ورفضها الخضوع للمصير الذى فرضته عليها التقاليد الوراثية ، وشجاعتها في التمرد على روحها ، واسلوب حياته ، كل ذلك طبع أخلاقها بالسمو والنبل ، وجعلها ذكاؤها ونشاطها وصراحتها وحماستها المرأة الشابة الجديدة التى تلائم عصر البناء الاشتراكى في الصين .

وقصة « بدر الحبوب في السحاب » تدور حول فتاة تدعى هسياو شو ـ يانج » ، تذهب الى المدينة لدراسة الظواهر الجوية ، وعندما عودتها الى قريتها تقيم محطة تسجيل لهذه الظواهر لينتفع بها الشعب . ولما كان اعدادها بسيطا ومعلوماتها محدودة وبحاجة الى

التدريب فقد سخر منها بعض المحافظين ولكن شـــو ـ يانج قبضت على رايها واستطاعت بتشجيع القيادة الشعبية ومعاونة اصـدقائها أن تنجح فى اقامة المحطة الصغيرة التى افادت فى الزراعة . فهذه الفتاة مثال للفتاة الصينية الحديثة المولعة بالدراسة العلمية .

واتسمت دائرة لى تشـــون بتقدم الصين الجـديدة فى مضمار الرقى ، ونستطيع أن نرى من كتاباته التى نشرت فى السنوات الأخيرة ، أنه عكف على معالجة الموضوعات الجديدة ودراسة الظواهر الجديدة . ومن ثمة جاء قصة « عصيدة حبة الشعير » تعد تصويرا موجزا لطيفا يصف كيف يتعاون عمال المدن مع الفلاحين بإقامة أعمدة التلغراف فى القرى ، وتكشف عن الروابط الوثيقة القائمة بينهم . أما قصة « مطر فى غير موعده » فتـــدور حول تجربة طالب صغير يذهب للعمل فى الريف . فهذه الموضوعات التى يطرقهـا لى ـ تشون تشير بمستقبل أدبى زاهر .

وقد صرح « لى تشون » مرة قائلا « عندما يتحـد الكاتب بأفكاره وشـــعوره مع الجماهير يستطيع أن يستكشف الحزم والتصميم والصفات النبيلة التى تتسم بها الطبقة العاملة » وهو نفسه يعيش بين الفلاحين مصدقا لفكرته ، ويفصل قوة ملاحظته ودقتها ، وتحمسه لبنـــاء الصين الاشتراكية الجـــديدة ، والتحول الاشتراكى فى الريف ، نراه يضع اصـــبعه دائما على نبضات هـــذا العهد ، ويستطيع دائما انتاج أعمال أدبية جيدة تعكس معالم روح هذا العصر الحديث ، كما أن أسلوبه واضح موجز وحى . واعتراف كل هذه الصفات مع المامه التـام بلغة الحديث الدارجة ، وروحه المرحة يضفى على كتاباته اشراقا وصـــفاء ويوسع دائرة قرائه .

العالم في عينة

بقلم : عبد الفتاح المديدى

في وقت ما من عام ... ه كان احد الشبان في سن الحادية والعشرين يحاول الدخول الى معمل مهيىء بكافة الأدوات والأجهزة ـ وكان يسرع خطاه نحو كهل في الخامسة والخمسين يقف أمام مجموعة من الحجارة وأصناف من الرمال .

الشاب ـ لقد وجدتها يا سيدى .

الرجل ـ ما هذا الذى تقوله ؟ لعلك لا تريدنى ان أصدق .

هذا الزعم . قصيدة غزل من رجل في امراه اتريدني ان اصدق ذلك .

ـ بل أريد ان تسمع هذه الأنشودة .

ـ اسمعني .

ـ أواه من حب لا يفتـــا ينتهض هواى ـ

نحو المجـــد ونحو أى شيء ترغبين فيه يا حبيبتي .

لقد عشت أيامي .. أيامي كلها .

اتملى النور من عينيك .

والظلام من شعرك الفاحم .

وأذوق طعم الوجد من رضابك .

فألقى بي عند أعتاب خطوك ـ

او في هاوية خراب

انا صنيع هواك .

ـ وبأى لغة كانت هذه القصيدة ؟ .

ـ انها من عصر يبعد عنا بمائتي ألف سنة في تقديري وهي مكتوبة بلغة كانوا يستخدمونها للإفاضة بحالات الشعور الوجداني المفعم اسمها الايطالية ـ

ـ وأين وجدت خطوط هذه اللغة ؟

ـ في بئر عند حافة نهر الفركور .

ـ أهو ذلك النهر الممتد في قلب قارة شيشتر ؟ .

ـ نعم يا أستاذى .. ألا أستحق الآن شهادة الدكتوراه . ان نظريتي صائبة مائة في المائة . لقد كان الناس في عصر ما قبل ظهور الآدمي الحالي يستخدمون لغات متعددة ويتصورن بمحاسن اشياء لا تمشي على أربع وتفهم احيانا ما يقولون . وكان الرجل هو الذى يطارد المراه ويحاول اغتصابها . انها